دفاتر السياسة والقانون المجلد: 13 / العدد: 01 (2021) ص ص: 557 - 570

بنية النظام الدولي في ظل جائحة فيروس كوفيد ـ 19
The structure of international system under the Covid -19 pandemic

يموتن فايزة*
المدرسة الوطنية العليا للعلوم السياسية
faizayamoutene@gmail.com

تاريخ الإرسال: اليوم / الشهر / السنة * تاريخ المراجعة: اليوم / الشهر / السنة * تاريخ القبول: اليوم / الشهر / السنة

ملخص

تهدف هذه الورقة إلى البحث في مدى التحول الذي طرأ على بنية النظام الدولي وعلى مكانة الولايات المتحدة الأمريكية كقطب مهيمن فيه، وكذا الإحاطة بأثر جائحة فيروس كوفيد ـــــ 19 في قوة الدول وفي مفهوم القوة ككل، وتداعيات ذلك على مدى الاستمرار والتغير في بنية النظام الدولي، وقد وصلت الدراسة إلى أن جائحة كوفيد ـــــ 19 تعتبر حدثا محوريا في تاريخ العلاقات الدولية ، من شأنه أن يؤدي إلى التغير في مفهوم القوة و في توزيع عناصر القوة بين الدول، فقد عززت ظروف الجائحة الجدل القائم حول بنية النظام الدولي، وكشفت عن تراجع الدور القيادي للولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى، مقابل سعي روسيا والصين إلى استغلال الوضع وتحويل جائحة كوفيد ـــــ 19 إلى أداة دبلوماسية لتنفيذ أجندة سياستهما الرامية إلى تغيير بنية النظام الدولي.

الكلمات المفتاحية:

هيكل النظام الدولي، جائحة كوفيد ـ 19، الولايات المتحدة الأمريكية، الصين، روسيا.

Abstract:

This paper aims to examine the extent of the transformation that has occured in the structure of the international system, and on the position of the U.S.A as a dominant pole ; also , knowing the impact of the Covid – 19 pandemic on the power of states and on the concept of power as a whole, and it's implications on the continuity or the change in the structure of the international system ; the study concluded that the Covid – 19 pandemic is an important event in the history of international relations, that would lead to a change in the concept of power, and in the distribution of the elements of power between states; so, the pandemic has strengthened the existing debate about the structure of the international system, and it revealed the decline of the leadership role of the U.S.A as a superpower, at a time when China and Russia seek to exploit the pandemic and turn it into a diplomatic tool to implement their policy agenda aimed at changing the structure of the international system.

Keywords:

The structure of the international system, Covid -19 pandemic, United states of America, China, Russia.

---

* **يموتن فايزة**

مقدمة:

لطالما ارتبط التحول في البنية الهيكلية للنظام الدولي بنهاية الصراعات والحروب الكبرى التي تفضي عادة إلى إعادة توزيع عناصر القوة بين مختلف الأطراف، ولعل أن ذلك يرجع بالأساس إلى الأهمية التي كان يحظى بها العامل العسكري في حسابات قوة الدول؛ لكن التحول الذي طرأ على مفهوم القوة عقب نهاية النظام الدولي الثنائي الأقطاب، وتراجع أهمية العامل العسكري لصالح عوامل أخرى على رأسها العامل الاقتصادي، ألقى بظلاله على طبيعة النظام الدولي وعلى طريقة انتقال القوة من قطب إلى آخر، وتغير بنيته من صيغة إلى أخرى؛ إذ لم تعد الحروب والصراعات العامل الحاسم في تحديد هيكل النظام الدولي وعدد أقطابه.

فبعد مرور قرابة ثلاثين عاما عن تفكك الإتحاد السوفييتي وبروز النظام الدولي الأحادي القطب بزعامة أمريكية، ودون حدوث حرب أو صراع على غرار الحربين العالميتين الأولى والثانية والحرب الباردة؛ بدأت ملامح هذا النظام تتغير، فعوامل القوة لم تعد منحصرة في يد الولايات المتحدة الأمريكية، مع بروز قوى دولية أخرى رافضة للوضع القائم على غرار روسيا والصين، ومع تداعيات الأزمة المالية العالمية، والتغير الذي حصل في السياسة الخارجية الأمريكية منذ نهاية فترة حكم المحافظين الجدد ووصول الرئيس "باراك أوباما Barack Obama" إلى السلطة، وصولا إلى اعتلاء الرئيس "دونالد ترامب Donald Trump" سدة الحكم وما تلاه من حديث تذبذب في مكانة الولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي، حيث أدى كل ذلك إلى عودة الجدل حول طبيعة البنية الهيكلية للنظام الدولي الحالي.

أعطى ظهور فيروس "كوفيد ـ 19 " دفعة قوية لهذا الجدل، فقد بات واضحا أن معالم النظام الدولي الذي تلى نهاية الحرب الباردة لم تعد قائمة، وأن الهيمنة الأمريكية تراجعت، فلا قوتها العسكرية ولا الاقتصادية استطاعت أن تقف في وجه هذا الفيروس الذي لا يرى بالعين المجردة والذي أهلك آلاف البشر، لذلك فمن الجلي أن هذه الجائحة، سيكون لها زخم في تاريخ العلاقات الدولية، سواء من حيث محاولة روسيا والصين استغلال الفرصة لتغيير هيكل النظام الدولي أو من حيث تراجع الدور الأمريكي.

بناء عليه يهدف هذا المقال إلى الاجابة عن الإشكالية التالية:

- ما هي معالم بنية النظام الدولي في ظل جائحة فيروس كوفيد – 19؟

وفي محاولة للإجابة عن الإشكالية المطروحة يفترض هذا المقال أن:

- تعد جائحة فيروس كوفيد – 19 حدثا محوريا في العلاقات الدولية من شأنه أن يحدد مدى الاستمرار أوالتغير في بنية النظام الدولي.

الإطار المنهجي:

تعتمد هذه الورقة باعتبارها تتناول بنية النظام الدولي؛ على إقتراب النظم لـ "مورتن كابلان Morton Kaplan" باعتباره أول من أدخل التحليل النسقي إلى العلاقات الدولية، حيث حاول من خلال هذا الاقتراب تحديد أنواع النظم الدولية وأهم خصائصها، وأسباب التغير فيها، كما تستدعي الضرورة العلمية الاستعانة بالمنهج التاريخي عند العودة إلى تحليل بعض الظواهر التاريخية على غرار تاريخ الأوبئة ونشأة النظام الدولي.

الإطار النظري:

تقتضي الضرورة العلمية الاستعانة بإطار نظري يساعدنا على تفسير الأحداث والتنبؤ بمآلاتها؛ لذلك استعنا في هذه الورقة بنظرية انتقال القوة power tansition theory، التي ترى أن انتقال القوة من طرف إلى أخر يحدث عند تراجع قوة القطب المهيمن، مقابل تنامي دور أطراف أخرى غير راضية عن الوضع القائم وتسعى

لتغييره، ولتحقيق ذلك تعمل هذه الدول القوية غير الراضية عن الوضع القائم ؛على حيازة عوامل قوة أكبر أو تساوي تلك التي تحوزها الدولة المهيمنة، ولا يحدث هذا الانتقال للقوة إلا عند تحقيق هذا الهدف.

وهو الأمر الذي ينطبق على روسيا والصين كدولتين قويتين غير راضيتين عن الهيمنة الامريكية وتسعيان لتغيير هذا الوضع، وبالتالي يمكن الاعتماد على هذه النظرية في دراسة بنية النظام الدولي في ظل جائحة كوفيد ــ19؛ من منطلق تراجع الدور الأمريكي في ظل هذه الأزمة من جهة، ومحاولة روسيا والصين استغلال الوضع لتحقيق قوة معادلة أو أكبر من قوة الولايات المتحدة الأمريكية؛ وبالتالي حدوث انتقال للقوة وتغير في بنية النظام الدولي.

أهداف الدراسة:

يسعى هذا المقال إلى تحقيق جملة من الأهداف وعلى رأسها:

1. بحث مدى التحول الذي طرأ على هيكل النظام الدولي وعلى مكانة الولايات المتحدة الأمريكية خاصة بعد وصول "دونالد ترامب Donald Trump" إلى السلطة.
2. الإحاطة بجوانب جائحة كوفيد ــ 19 ومدى تأثيرها في قوة الدول وفي مفهوم القوة .
3. سبر أغوار النظام الدولي الحالي ومحاولة اكتشاف مدى التغير أو الاستمرار في هيكله في ظل جائحة كوفيد ــ 19.

للوصول إلى الأهداف المسطرة سيتم تقسيم هذا المقال إلى ثلاثة محاور أساسية كالتالي:

- المحور الأول: هيكل النظام الدولي: من الهيمنة الأمريكية إلى بداية التراجع.
- المحور الثاني: أثر جائحة كوفيد ــ 19 في مفهوم القوة.
- المحور الثالث: هيكل النظام الدولي في ظل جائحة كوفيد ــ 19 بين الاستمرار والتغير.

1. هيكل النظام الدولي من الهيمنة الأمريكية إلى بداية التراجع.

1.1. بروز النظام الدولي الأحادي القطب (النظام الدولي الجديد).

قبل الخوض في تحليل دور ومكانة الولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي الأحادي القطب، تجدر الإشارة في البداية إلى معنى هيكل النظام الدولي؛ فهو يشير إلى طريقة توزيع عناصر القوة بين مختلف الوحدات في هذا النظام، والتي يأخذ بناء عليها صيغة إحدى الهياكل المتعارف عليها؛ إما أحادية أو ثنائية أو متعددة الأقطاب (حسين، 2013، صفحة 17).

بدأ التأسيس لهذا النظام منذ معاهدة وستفاليا عام 1648، التي كانت اللبنة الأولى لتأسيس الدولة القومية باعتبارها محور هذا النظام، حيث وضع سلام وستفاليا حدا لحالة الطبيعة التي كان يحكمها منطق حرب الجميع ضد الجميع، وهو ما فسره "توماس هوبز Thomas Hobbes" في كتابه "التنينLeviathan" المنشور عام 1651، فقد أسس هذا الصلح لمفهوم توازن القوى كنظام على اعتبار أن حالة التوازن ليست وليدة مرحلة معينة وإنما كانت تظهر بين الفينة والأخرى عبر مراحل التاريخ الغابرة بين مختلف القوى، وبالتالي كان لسلام وستفاليا بما حمله من مبادئ على رأسها احترام سيادة الدول أن يؤسس لتوازن القوى كنظام، تسعى فيه الدول للحفاظ عليه كي لا تظهر قوة واحدة تطغى على الجميع (كيسينجر، 2015، صفحة 39 ــ 41)، وبذلك تأسس النظام الدولي المتعدد الأقطاب الذي يحتوي على عدة دول متقاربة في القوة هي؛ بريطانيا وروسيا وبروسيا، وفرنسا والنمسا؛ التي سيطرت على دواليب السياسة العالمية إلى غاية نهاية الحرب العالمية الثانية التي أفضت إلى بروز قوتين عظميين هما الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتي؛ مشكلة بذلك بداية لمرحلة جديدة عرفت بالثنائية القطبية، والتي تميزت بالصراع الايديولوجي بين الطرفين فيما عرف

بفترة الحرب الباردة، و انتهت بانهيار جدار برلين عام 1989، وتفكك الاتحاد السوفييتي؛ وبالتالي الانتقال إلى مرحلة جديدة في تاريخ الأنظمة الدولية وهي مرحلة الأحادية القطبية بزعامة الولايات المتحدة الأمريكية (راضي، 2016، الصفحات 47 - 64).

لم تتضح معالم هذا النظام الدولي الجديد فور نهاية الحرب الباردة، وإنما ظهر سجال واسع بين الدارسين والمراقبين حول بنيته الهيكلية؛ بين تيار يرى أنه نظام دولي أحادي القطب وآخر يرى أنه نظام متعدد الأقطاب وتيار ثالث يرى أنه مجرد مرحلة انتقالية نحو نظام دولي جديد.

لكن هذا الجدل سرعان ما زال واستقرت أراء الدارسين حول البنية الأحادية القطبية للنظام الدولي عقب احداث 11 سبتمبر 2001، فقد جاءت هذه الهجمات التي استهدفت القطب المتبقي بعد تفكك الاتحاد السوفييتي لتضع حدا للجدل حول هيكل توزيع عناصر القوة، إذ اثبتت تفرد الولايات المتحدة الأمريكية بادارة الشؤون الدولية، وبتسلمها الريادة في النظام الدولي، ووفرت لها الفرصة لتجسيد تطلعاتها في بناء نظام دولي أحادي القطب (حسين، صفحة 218).

لكن من غير المنطقي أن نفكر في مشروع الهيمنة الأمريكية بأنه وليد نهاية الحرب الباردة، فلا يمكن لمشروع بمثل هذه الأهمية أن يتولد ويتجسد في فترة وجيزة، وهو ما نوه إليه "محمد حسنين هيكل" في مؤلفه الموسوم بـ "الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق"، حيث يرجع جذوره إلى بروز الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عالمية في ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، وأن هذا المشروع عمل على تجسيده أثنتا عشرة رئيسا للولايات المتحدة الأمريكية من "فرانكلين روزفلت Franklin . D. Roosevelt" إلى "جورج بوش الإبنGeorge .W. Bush"، فرغم تراجع ملامح السلوك الأحادي والاتجاه نحو المرونة في فترات حكم بعض هؤلاء الرؤساء إلا أن كلا منهم كان له باع في تحقيق هذا المشروع ضمن استراتيجية واحدة ومتكاملة (هيكل، 2004، صفحة 138 – 141).

لقد كان المحافظون الجدد بحاجة إلى حادثة مشابهة لواقعة "بيرل هاربر" لتكون مطية لتنفيذ المشروع الإمبراطوري الأمريكي، وهو ما تحقق في أحداث 11 سبتمبر 2001 حيث وفرت هذه الأحداث الغطاء للسلوك الإنفرادي الأمريكي بحجة الدفاع عن الأمن القومي والسلام العالمي، إذ صاغوا ما عرف بمشروع "القرن الأمريكي الجديد" الذي يبدو للوهلة الأولى بأنه مكرس لمكافحة التهديدات الإرهابية، إلا أنه في الواقع تجسيد للطموحات الإمبراطورية وتملص من الإلتزام بالقواعد والمؤسسات الدولية، وهذا ما يظهر في التصرف بانفرادية واستباقية في مواجهة التهديدات (حالتي أفغانستان والعراق) في تجسيد واضح للأحادية القطبية؛ استندت هذه الاستراتيجية إلى وثيقة الأمن القومي الأمريكي، التي وضعت الحفاظ على الصيغة الأحادية القطبية للنظام الدولي ومنع ظهور أي قوة أو تحالف من القوى يهدد المكانة الأمريكية؛ على رأس أولياتها، كما احتوت هذه الاستراتيجية على مفاهيم جديدة على غرار الحرب الاستباقية ضد الارهاب وضد الدول التي تسعى إلى امتلاك أسلحة الدمار الشامل، ومفهوم السيادة المرنة لتسهيل ملاحقة الارهاب أينما كان (حسين، 2013، صفحة 219، 220).

استطاعت الولايات المتحدة الأمريكية في إطار هذه الإستراتيجية أن تحقق عدة مكاسب على حساب الاستقرار في بعض الدول وفي العالم برمته، فإلى جانب سيطرتها على مفاصل النظام الدولي وتحقيقها الهيمنة الأحادية وعولمة النموذج اللبرالي الرأسمالي باعتباره الأصلح لتطور الأمم؛ استطاعت أيضا أن تجد العدو الجديد الذي تبني على أساسه سلوكياتها الخارجية والذي كانت تعيش في دوامة البحث عنه منذ تفكك العدو التقليدي المتمثل في الاتحاد السوفييتي، كما استطاعت أن تستحوذ على أغنى مناطق العالم بالنفط لتنشيط اقتصادها، على اعتبار أن هذا الاخير أصبح لا يقل أهمية عن ترسانة الأسلحة في حساب قوة الدول.

2.1. أطروحات التراجع الأمريكي.

مهما بلغت الدول من مستويات عالية من القوة والهيمنة فإن حتمية التراجع لا بد منها، وهو ما أسهب في شرحه العديد من المفكرين والدارسين على غرار "عبد الرحمن إبن خلدون" الذي يرى في مؤلفه "المقدمة" أن الدول والحضارات شبيهة بالبشر تولد وتنمو ثم تزول، وأن الدول مهما بلغت من التطور والانتشار والرقي فإن مصيرها هو الزوال، ورأى أن متوسط عمر الدول هو ثلاثة أجيال، وأن عمر الجيل الواحد هو أربعين سنة (إبن خلدون، 2004، صفحة 335، 336).

الفكرة ذاتها نوه إليها "بول كينيدي Paul Kennedy" في مؤلفه الموسوم بـ "نشوء وسقوط القوى العظمى" المنشور عام 1987 فبعد استفاضته في دراسة القوى الإقليمية والدولية في عصر ما بعد النهضة الأوروبية وتتبعه لمسار سطوع نجم القوى العظمى ثم أفولها، استطاع أن يعمم نتائج دراسته على الولايات المتحدة الأمريكية، والتي رأى أنها ليست بمنأى عن الاختبار الذي يحدد امتداد عمر الدولة؛ أي مدى قدرتها على الحفاظ على مكانتها كقوة أولى في العالم من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية، حيث خلص إلى أن مكانة الولايات المتحدة الأمريكية ستؤول إلى التراجع لصالح قوى أخرى على غرار ما حصل مع سابقاتها من امبراطوريات وقوى عظمى (Kennedy, 1987, pp. 515 - 530).

على الرغم من تأخر نبؤة "بول كينيدي" في التحقق إلا أن بوادرها بدأت في الظهور مؤخرا، فقد بدأت ملامح التراجع في المكانة الأمريكية تظهر وأصبح الحديث عن عالم ما بعد أمريكا ونهاية القرن الأمريكي محل اهتمام المراقبين والأكاديميين، حيث أدت الحرب على الارهاب إلى استنزاف القوة الأمريكية في كل من أفغانستان والعراق، وما تلاها من تدهور في الأوضاع الاقتصادية الأمريكية بحكم الأزمة الإقتصادية المرتبطة بأزمة الرهن العقاري عام 2008؛ كما بدأت القيادة السياسية في روسيا تعمل على استعادة أمجاد الاتحاد السوفييتي، وتحولت الصين إلى عملاق اقتصادي ذو وزن لا يستهان به في الساحة الدولية(Arnaud Balvayn, 2019) ، كل ذلك جعل الهيمنة الأمريكية والنظام الدولي الأحادي القطب على المحك.

تزامن كل ذلك مع التغير في القيادة السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد أدى وصول الديمقراطي "باراك أوباما Barak Obama" عام 2008 إلى السلطة؛ إلى تبني خطاب أكثر مرونة وسياسة خارجية مختلفة عن سابقه "جورج بوش"، ومع نهاية عهدته الثانية رأى بعض المراقبين أن سياسته الخارجية قد أفسحت المجال أمام تنامي دور بعض القوى الصاعدة على غرار الصين التي أصبحت تحتل الصدارة في المجال الاقتصادي وروسيا التي عادت إلى الواجهة (Arnaud Balvayn).

مع وصول "دونالد ترامب Donald Trump" غير المتوقع إلى السلطة في الولايات المتحدة الأمريكية منذ نوفمبر 2016، بدى العالم مقلوبا رأسا على عقب، حيث بدأ المراقبون يتحدثون عن الفوضى وعن نظام دولي جديد(Branaa, 2019, p. 115) ، لذلك انصبت جل جهود إدارته على صياغة استراتيجية تقوم على تدارك هذا الوضع، وتحقيق استمرار التفوق الأمريكي في النظام الدولي الذي يشهد صعود منافسين جدد كالصين وروسيا، وتهديدات من الدول المارقة كإيران وكوريا الشمالية، فنظرة "ترامب" لدور الولايات المتحدة الأمريكية في النظام

الدولي تقوم بالأساس على وضع حد لسياسة الاسترضاء التي اتبعها سلفه والتي أفقدتها جزءا كبيرا من هيبتها ومكانتها (الجرباوي، 2018، صفحة 11 - 13).

رغم السعي الحثيث للرئيس "ترامب" لترميم مكانة الولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي، إلا أن ذلك لم يمنع المراقبين والدارسين من الحديث عن عالم ما بعد أمريكا، على غرار ما ذهب إليه "فريد زكريا" الذي يرى أننا حاليا في نظام دولي ما بعد الأمريكي (الأحادي القطب)، حيث يسترسل قائلا بأن الولايات المتحدة الأمريكية لم تعد تهيمن على العالم اقتصاديا وسياسيا، فقد فقدت مكانتها منذ قرابة ثلاثة عقود، حيث كانت بداية النهاية حسب تعبيره عام 2003 ، وقد ساهمت عدة عوامل خارجية في نهاية العصر الأمريكي كصعود بعض القوى إلى مصاف الدول الكبرى على غرار روسيا والصين(Zakaria, 2019, pp. 10 - 15) .

أما "جوزيف ناي Joseph Nye " في مؤلفه الموسوم بـ "هل انتهى القرن الأمريكي" نجده يفند فكرة نهاية القرن الأمريكي الذي يعني حسبه التفوق في المجالات الاقتصادية والعسكرية والثقافية، والذي بدأ مطلع القرن العشرين، حيث يصف النظام الدولي الحالي بأنه لا أحادي ولا متعدد الأقطاب وإنما هو مزيج بين الصيغتين، وهو ما أطلقت عليه "هيلاري كلينتون Hillary Clinton" وزيرة الخارجية الأمريكية سابقا تسمية "عالم متعدد الشركاء" (ناي، 2016، صفحة 114 - 116)، يبدو "جوزيف ناي" في مؤلفه متفائلا بشأن مستقبل القوة الأمريكية فهو مقتنع بنهاية الأحادية القطبية وفي الوقت ذاته يبدو متيقنا من كون هذه النهاية ليست دليلا على تراجع الريادة الأمريكية وإنما لا تعدو أن تكون سوى صيغة أخرى من الريادة تشترك فيها أطراف أخرى.

في حين أثار المؤرخ "دانييل سارجنت Daniel Sargent" في خطابه أمام الجمعية التاريخية الأمريكية فكرة كون الرئيس الأمريكي "دونالد ترامب Donald Trump" سيكون هادما للنظام العالمي الأحادي القطب الذي تتزعمه الولايات المتحدة الأمريكية؛ حيث استندت فكرته إلى عدم ملائمة "ترامب" لمنصب الرئيس، فقد أدى سعيه إلى تجسيد تطلع "أمريكا أولا" إلى إضعاف علاقات بلده مع الأوروبيين، في الوقت الذي تشهد الصين صعودا يشكل تهديدا غير مسبوق للعولمة الغربية (توز، 2019).

ما يظهر من استقراء هذه الأدبيات هو الاتفاق على فكرة محورية مفادها؛ تخلخل معالم النظام الدولي الجديد الذي ظهر عقب نهاية الحرب الباردة ، لكن لا يعني نهاية دور الولايات المتحدة الأمريكية كقوة عظمى، بقدر ما يعني صعود أطراف أخرى تشاركها في الريادة، وهو ما يمكن أن نطلق عليه تراجع مكانة الولايات المتحدة الأمريكية وليس دورها.

2. جائحة فيروس كوفيد – 19 وأثرها في مفهوم القوة:

شكلت نهاية عام 2019 مرحلة محورية في السجال القائم حول بنية النظام الدولي، فقد أدى ظهور جائحة فيروس كوفيد – 19 إلى وضع حد للإعتقاد السائد حول عوامل قوة الدول، ووقفت القوة النووية والإقتصادية وسائر عوامل القوة الناعمة؛ عاجزة أمام هذا التهديد الجديد الذي اجتاح معظم دول العالم قوية كانت أو ضعيفة، وأضحت الاستراتيجية المتكاملة والفعالة في التعامل مع هذا الوباء هي المعيار الأساسي للقوة.

1.2. جدلية الأوبئة والقوة عبر التاريخ.

شهد العالم على مر تاريخه ظهور العديد من الأوبئة والجوائح التي أودت بحياة الملايين من البشر، فرغم التطور الكبير الذي بلغه العالم في مجال دراسة علم الأوبئة، إلا أن الطبيعة لا تزال تفرض رأيها وتنتج أوبئة فتاكة تعجز أقوى الدول في العالم عن مجابهتها.

يمكن استبصار العلاقة بين متغيري الأوبئة والقوة بالعودة إلى الأزمنة الغابرة في التاريخ، فقد أدى الطاعون الذي ظهر في أثينا عام 430 قبل الميلاد، في السنة الثانية من الحرب البيلوبونيسية بينها وإسبرطة، إلى اضعاف

قوة أثينا التي فقدت حوالي 100 ألف شخص؛ أي ما يعادل ثلث سكانها، مما أفضى في النهاية إلى حسم الحرب لصالح إسبرطة (رمضان، 2020).

أما في القرن السادس الميلادي فقد شهد العالم أشد أنواع الأوبئة فتكا بالبشرية، ألا وهو "طاعون جستينيان"، الذي ظهر بالقرب من اثيوبيا، وسرعان ما تحول إلى وباء عالمي أودى بحياة قرابة 10000 فرد في اليوم الواحد، عند بلوغه القسطنطينية، وقد كان لهذا الوباء الباع الأكبر في التعجيل بنهاية الإمبراطورية الرومانية الشرقية (البيزنطية) (دنكان، 2017، صفحة 234، 235).

من الدلائل التاريخية أيضا عن وجود علاقة طردية بين انتشار الأوبئة وتراجع قوة الدول؛ نجد الفكرة التي رافع عنها أب علم الإجتماع "عبد الرحمان أبن خلدون" في معرض حديثه عن وفور العمران آخر الدولة في مؤلفه "المقدمة"؛ حيث رأى أنه من أسباب نهاية الدول كثرة الموتى بسبب انتشار الأمراض والأوبئة، والتي هي بدورها نتيجة لتلوث الهواء المترتب عن وفور العمران، فنجده يصف هول أثر الطاعون في دول المغرب والمشرق قائلا :

"...الطاعون الجارف الذي تحيف الأمم، وذهب بأهل الجيل، وطوى كثيرا من محاسن العمران ومحاها، وجاء للدول على حين هرمها وبلوغ الغاية من مداها، فقلص من ظلالها، وفل من حدها، وأوهن من سلطانها، وتداعت إلى التلاشي والإضمحلال أموالها، وانتقض عمران الأرض بانتقاض البشر، فخربت الأمصار والمصانع، ودرست السبل والمعالم، وخلت الديار والمنازل، وضعفت الدول والقبائل وتبدل الساكن..." (إبن خلدون، صفحة 120 - 499).

مما لا شك فيه أن "إبن خلدون" توصل إلى هذا الوصف، بعد استفاضته في دراسة هذه البلدان وأحوالها قبل وبعد أن يحل بها الطاعون، ولكن مما لا جدال فيه أيضا هو أنه يرى أن مرحلة تراجع قوة الدولة واضمحلالها هي حتمية لا بد منها، فبعد أن تبلغ الدول ذروة قوتها ستتجه لا محال نحو التراجع، فيما أسماه بدورة حياة الدولة، والتي تكون نتيجة عدة عوامل مقترنة بالمستويات العالية من التحضر، من بينها انتشار الأوبئة وارتفاع عدد الموتى، وبالتالي فالأوبئة في نظره هي نتيجة، وفي الوقف ذاته سبب، فهي نتيجة للمستويات العالية من التحضر ووفرة العمران التي تبلغها الدول، وسبب في تراجع هذا التحضر وتقهقر قوة الدول وأفولها.

استمرت علاقة الشد والجذب، عبر التاريخ، بين مساعي الدول إلى تحصيل عوامل القوة الكفيلة بمواجهة مختلف أنواع التهديدات من جهة؛ وظهور الأوبئة والجوائح التي تقف حجر عثرة في طريق هذا التحصيل من جهة أخرى، إذ ما فتئت هذه العلاقة تطفو إلى السطح بين الفينة والأخرى عبر مراحل التاريخ المختلفة، فقد شهد العالم العديد من الجوائح الأخرى على غرار الحمى الصفراء والكوليرا والأنفلونزا الروسية، والأنفلونزا الإسبانية، والأنفلونزا الآسيوية، وأنفلونزا هونغ كونغ، ثم السيدا ففيروس سارس، وأنفلونزا الخنازير، والإيبولا؛ وصولا إلى جائحة كوفيد_19(Sardon, 2020, pp. 1 - 30) .

ولعل أن السمة المشتركة بين مختلف هذه الجوائح التي عرفها تاريخ البشرية في علاقتها بمتغير القوة؛ هي العلاقة الطردية بين تفشي مثل هذه الأوبئة وتراجع قوة الدول المتضررة منها.

2.2. أثر جائحة فيروس كوفيد ـ 19 في متغير القوة.

يمكن لـ "نظرية البجعة السوداء Black swan theory" التي طورها الفيسوف اللبناني ـــــ الأمريكي "نسيم نيكولا طالب" عام 2007 في مؤلفه: "البجعة الســـوداء تداعيات الأحداث غير المتوقعة"، أن تقدم لنا تصـــورا منطقيا لجائحة كوفيد ـــــ 19؛ حيث تفترض هذه النظرية حصول بعض الأحداث المفاجئة التي يعتبر التنبؤ بها صعبا جدا، ولكن أثرها كبير جدا، وبعد وقوعها نبدأ في صياغة التفسيرات لها؛ ولعل أن المغزى من هذه النظرية هو استبصـار مدى محدودية معارفنا السـابقة ومدى قدرتنا على التنبؤ بوقوع الأحداث (طالب، 2009، صـفحة 09، 10) .

فرغم ما بلغه العالم من تطور في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والعسكرية، وما بلغته الدول من تطور في مجال الصحة، وانتاج الأدوية ودراسة الأوبئة والأمراض والعمل على مواجهتها، لم يكن متوقعا ولو لبرهة أن يظهر فيروس يستطيع أن يجتاح العالم بأسره ويزعزع قوة أعظم الدول فيه، ويسبب خسائرا مادية وبشرية بالحجم الذي سببه ظهور فيروس كوفيد ـ19؛ ولكن ذلك حدث بالفعل.

لقد وضع هذا الحدث المفاجئ إدراكنا السابق لمفهوم القوة على المحك؛ فالصخب والتقدير المفرط الذي قدمناه لمدى التقدم في تحصيل الدول لعوامل القوة أثبت نقصه وعدم فاعليته، حيث وقفت كل تلك العوامل الجغرافية والإقتصادية والسياسية والاجتماعية والثقافية والعسكرية... عاجزة أمام جائحة "كوفيد ـ 19" كحدث غير متوقع.

ولعل أن الفهم الجيد لهذه الفكرة ينصب في ثلاثة نقاط أساسية هي :

ـ تأثير "جائحة كوفيد ـ 19" في العوامل التقليدية لقوة الدول، وهنا يقصد بالعوامل التقليدية تلك العوامل السائدة قبل انتشار وباء كوفيد ـ 19.

ـ تأثير "جائحة كوفيد ـ 19" في مفهوم القوة في حد ذاته.

ـ تأثير "جائحة كوفيد ـ 19" في توزيع عناصر القوة في النظام الدولي، والذي سنخصص له المبحث الثالث من هذه الورقة.

بالنسبة إلى النقطة الأولى فقد أدت "جائحة كوفيد ـ 19" إلى زعزعة عوامل القوة التقليدية للدولة، فقد استهدف هذا الفيروس بشكل مباشر القوة البشرية التي تعتبر اللبنة الأولى لبناء الدول، فمهما بلغت من تطور فإن القوة البشرية تعتبر عنصرا ضروريا في قيامها واستمرارها، ومع تفشي فيروس "كوفيد 19" في العالم أضحى هذا العامل محل تهديد، فقد أودى الفيروس المستجد حسب إحصاءات ديسمبر 2020 بحياة ما يقارب 1.540.146نسمة في 218 دولة في العالم كما تسجيل 67.268.194 حالة إصابة مؤكدة منذ بداية الوباء حسب؛ تتركز أكبر نسبة للوفيات والإصابات في الولايات المتحدة الامريكية التي تسجل 15.101.737 حالة إصابة بفيروس "كوفيد ـ 19" وحوالي 288.645 حالة وفات، والهند التي سجلت حوالي 9.676.801 حالة إصابة، وحوالي 140.590 حالة وفاة، والبرازيل التي شهدت حوالي 6.582.606 حالة إصابة و 176.721 حالة وفاة، كما سجلت روسيا حوالي 2.460.770 حالة إصابة وحوالي 43.141 حالة وفاة. (worldometer, 2020)،

في نفس السياق أدت الإجراءات المتخذة من طرف الدول لحماية العنصر البشري من تبعات تفشي هذا الوباء؛ إلى التأثير في عامل آخر من عوامل قوة الدول ألا وهو الجانب الإقتصادي، فقد دفع الخوف من تفشي الفيروس الذي أضحى عابرا للحدود إلى انطواء كل دولة على نفسها بمعزل عن الدول الأخرى، ما علق حركة السلع والخدمات وأدى إلى تراجع التجارة الدولية، كما أسفرت الجائحة عن تعطل قطاع السياحة والطيران الذي يعتبر عصبا حيويا في اقتصاديات بعض الدول، وما انجر عنه من أثار في سوق العمل واليد العاملة فحسب رئيسة صندوق النقد الدولي فإن حوالي 125 مليون شخص في العالم فقدوا عملهم مع تفشي هذا الوباء، ورغم انتعاش بعض قطاعات الاقتصاد التي استفادت من هذه الظروف كقطاعي التجارة الإلكترونية والصناعات الصيدلانية (وهبي، 2020، صفحة 44 ـ 58)، إلا أن الأثار السلبية لجائحة كوفيد ـ19 في العامل الاقتصادي تبقى طاغية.

لم يسلم العامل العسكري من تداعيات انشار "فيروس كوفيد ـــــ 19"، فبالإضافة إلى خوف الدول من انشار الوباء بين أفراد قواتها العسكرية وتبعات ذلك على قوتها، فإن اجراءات التباعد الاجتماعي والحجر الوقائي ينجر عنها فشل بعض المخططات العسكرية، وعلى سبيل المثال نجد تقليص الولايات المتحدة الأمريكية عدد مشاركيها في تمرين defender Europe الذي كانت قد خططت له بأن يكون أكبر انتشار للقوات الأمريكية في أوروبا منذ 25 عاما؛ على صعيد آخر قد تؤدي هذه الإجراءات إلى هشاشة الدول أمام التهديدات القادمة من بعض

الجماعات المتطرفة، كما أن الحديث عن تراجع النمو الاقتصـــادي في الدول في زمن "الجائحة" ســـيكون له لا محال تداعيات سلبية على الميزانية العسكرية وبالتالي على التسلح وصناعة المعدات العسكرية، من جهة أخرى اتجهت بعض الدول نحو الاستعانة بأفراد الجيش في التصدي للجائحة (بكر، 2020)

أوضحت لنا هذه الاستنارة البسيطة رغم عدم اتساع المجال للتعمق أكثر في كل نقطة حجم الأثر الذي أحدثه انتشار فيروس "كوفيد ـ 19" في عوامل قوة الدول، أما بالنسبة إلى النقطة الثانية والمتمثلة في أثرها في مفهوم القوة في حد ذاته فيقصد به، وقوف أقوى دول العالم عاجزة أمام هذا الفيروس التاجي الذي لا يرى بالعين المجردة، رغم امتلاكها أقوى مؤشرات القوة الصلبة والناعمة والذكية؛ لذلك فمن الضروري إعادة النظر في مفهوم القوة في حد ذاته ليستوعب القدرة على التحكم في مثل هذا النوع من التهديدات المفاجئة وغير المرئية والعابرة للحدود، وبالتالي نحن أمام مفهوم جديد للقوة يمكن الاصطلاح عليه من وجهة نظرنا البسيطة بمفهوم "القوة الأزموية"، وهي القوة التي تتكامل فيها مختلف جوانب الحياة رغم بساطتها، وإيلائها أهمية قصوى لأنها في أي لحظة قد تتحول إلى نقطة هشة يمكن أن تضعف الدولة ككل، وبذلك تكون هذه الاخيرة مستعدة للتعامل مع أي تهديد في أي جانب، حيث تحوز الدولة على القوة الأزموية التي تمكنها من التعامل مع التهديدات المفاجئة مهما كانت بسرعة وفاعلية وتخرج منها بأقل قدر من الخسائر، ومن الجدير بالذكر أن هذا المفهوم للقوة لا يقصي المفاهيم السابقة من قوة صلبة وقوة ناعمة وقوة ذكية وإنما يشملها كلها بالإضافة إلى قدرة التعامل مع التهديدات غير المتوقعة.

3. هيكل النظام الدولي في ظل جائحة كوفيد ـ 19 بين الاستمرار والتغير.

رغم أن الجدل حول هيكل النظام الدولي والحديث عن بداية نهاية النظام الذي أرسيت دعائمه عقب نهاية الحرب الباردة؛ كان سابقا لظهور جائحة الفيروس التاجي "كوفيد -19"، حيث تمحور هذا الجدل حول صعود قوى دولية جديدة على غرار الصين وروسيا محاولة وضع حد للهيمنة الأحادية على هيكل النظام الدولي، ومرافعة آخرين على فكرة تراجع الدور الأمريكي كقطب واحد في النظام الدولي؛ وفي خضم هذا السجال، جاءت جائحة فيروس كوفيد ـ 19 لتعصف بكل القوى الدولية، المرشحة منها للصعود من جهة، وبالقطب المهيمن نفسه من جهة ، لتعطي زخما أقوى للجدل حول استمرار أو تغير بنية النظام الدولي.

1.3. الدور الأمريكي في ظل جائحة كوفيد ـ 19.

عند تحليل دور أي قوة في النظام الدولي تحضرنا أطروحة "بول كينيدي" حول صعود وأفول القوى العظمى، فمهما بلغت الدول من مراتب القوة فإن مصيرها هو التراجع، ولعل أن الحديث عن انكفاء دور الولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي كان سابقا لتفشي "جائحة الفيروس التاجي كوفيد-19" كما سبق وأن أشرنا إليه، وكان لم يحسم بعد عندما شهد العالم تفشي هذا الوباء الذي صنف كأخطر حدث في القرن الواحد والعشرين، إذ تعدت تبعاته تلك الناجمة عن أحداث 11 سبتمبر 2001 والأزمة المالية العالمية عام 2008، ما أعطى للجدل حول هيكل النظام الدولي دفعة جديدة.

فرغم كل مقومات القوة التي تمتلكها الولايات المتحدة الأمريكية إلا أن إدارتها لجائحة كوفيد ـ 19 أثبت هشاشة قوتها، فالحكم على قوة الدولة يكون بمدى قدرتها على التعامل مع الأزمات، وقد كانت جائحة الفيروس التاجي هي أول أزمة عالمية حقيقية تواجهها إدارة "دونالد ترامب" منذ توليه السلطة، والتي أثبتت فيها فشلها، حيث أجمعت معظم وسائل الإعلام الأمريكية على عدم فاعلية إدارة الرئيس "دونالد ترامب" للأزمة، عكس الرئيس الأمريكي السابق "جورج بوش الإبنGeorge . W. Bush " الذي اتسمت سياسته بالسرعة والفاعلية في التعامل مع أزمة أحداث 11 سبتمبر 2001(Vandal, 2020) .

تحولت الولايات المتحدة الأمريكية إلى بؤرة جديدة لانتشار وباء كوفيد ـ 19 بعد فترة وجيزة من تسجيل أول حالة فيها في 22 جانفي من عام 2020، حيث وصل عدد الحالات إلى 2179 حالة إصابة في الثالث عشر من شهر مارس وأخذت هذه الأرقام تتضاعف كل يوم (الشرقاوي، 2020)، وصلت إلى 15.101.737 في ديسمبر 2020 ولعل أن التعاطي الأمريكي مع الأزمة كان يحكمه متغير مهم، هو قرب موعد الانتخابات الرئاسية الأمريكية؛ لذلك عمل الرئيس "ترامب" على التقليل من تبعات الجائحة على مسار حملته الانتخابية، حيث انصب جل اهتمامه على الجانب الاقتصادي الذي كان قبل انتشار فيروس كوفيد ـ19 يمثل العصب الذي يعول عليه في ترشحه لولاية ثانية، أين سجل الاقتصاد الأمريكي أدنى معدلات البطالة في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية، لذلك وفور تفشي الفيروس أطلقت الحكومة الفدرالية خطة عمل لمنع الدخول في أزمة اقتصادية (وحدة الدراسات السياسية، 2020، صفحة 1 ـ 6).

بناء على ذلك اتسمت سياسة الرئيس "ترامب" في التعامل مع الأزمة بالتحرك على مستويين:

ـ المستوى الداخلي: تميزت سياسته بالاستبداد والتعتيم بشأن مدى خطورة الجائحة، مستعينا ببعض وسائل الإعلام الموالية له على غرار قناة "فوكس نيوز"، كما أدى استشعاره بخطورة الدخول في أزمة اقتصادية إلى إعادة فتح الاقتصاد رغم رفض بعض حكام الولايات لذلك، معتبرين أنه قرار سابق لأوانه.

ـ المستوى الخارجي: تميزت السياسة الأمريكية في التعامل مع جائحة كوفيد ـ19 على المستوى الخارجي بالانعزالية، وإلغاء الدور القيادي للولايات المتحدة الأمريكية في إدارة الأزمات الدولية، حيث زعزعت هذه السياسة ثقة الدول الأخرى بها غلى غرار دول الاتحاد الاوروبي التي أعلنت الولايات المتحدة الامريكية حظر السفر من منطقة شنغن دون اخطار مسبق لدول الاتحاد (وحدة الدراسات السياسية، صفحة 1ـ 6)، ناهيك عن تدهور العلاقات الأمريكية مع الصين جراء الاتهامات التي وجهها للصين بأنها مصدر الجائحة، حيث أطلق على فيروس "كوفيد ـ 19" تسمية الفيروس الصيني، وانسحاب الولايات المتحدة الامريكية من منظمة الصحة العالمية.

يتضح مما سبق أن إدارة الرئيس الامريكي "دونالد ترامب" لم تستثمر في جائحة كوفيد ـ 19 بما يخدم هدف الحفاظ على الدور القيادي للولايات المتحدة الأمريكية في النظام الدولي، وإنما انصبت جهودها على انقاذ الاقتصاد الأمريكي من الانهيار باعتباره العصب الذي يعول عليه الرئيس "ترامب" في ترشحه لولاية ثانية.

ومن الملاحظ أيضا أنه حتى مع تغير الرئيس الأمريكي بعد فوز "جو بايدن Joe Biden" في الانتخابات الرئاسية الأمريكية، فإن تبعات السياسة العشوائية التي اتبعها الرئيس المنتهية ولايته "دونالد ترامب" في التعامل مع أزمة جائحة فيروس "كوفيدـ 19" ستلقي بظلالها على أجندة الرئيس الجديدن خاصة وأن الأزمة لا تزال مستمرة والاقتصاد الأمريكي يشهد انكماشا ملحوظا.

2.3. الدور الصيني والروسي في ظل جائحة كوفيد ـ 19.

في ظل تراجع الدور القيادي للولايات المتحدة الأمريكية في الأزمات الدولية، حاولت كل من روسيا والصين استغلال ظروف الجائحة لخدمة أهداف أجندتهما الدولية، حيث سعت جاهدة إلى ملء الفراغ الذي خلفه التراجع الأمريكي.

في حين تسببت جائحة كوفيد ـ19 في أضرار إقتصادية زعزعت اقتصاد الدول الغربية عامة والولايات المتحدة الأمريكية بصفة خاصة، استفادت الصين من ظروف الأزمة وتحولت إلى المزود الرئيسي لدول العالم بالمعدات الطبية الكفيلة بالتصدي للظروف الصحية التي يواجهها العالم؛ على صعيد آخر، في حين تسببت إجراءات الحجر الصحي للحد من انتشار "فيروس كوفيد ـ 19" في انهيار غير مسبوق لأسعار النفط، حيث انخفض سعر برميل النفط الأمريكي في نفس اليوم 20 افريل 2020 من أقل من 08 دولار أمريكي إلى صفر دولار، وسجل في ظرف شهر حوالي 26.000.000 مواطن أمركي أنفسهم في قائمة البطالين؛ نجد أن الإقتصاد الصيني استطاع

أن يحافظ على مكانته كثاني قوة اقتصادية في العالم، بل زادت من احتمال انتقاله إلى المرتبة الأولى (Bidouzou, 2020, pp. 1 - 11).

توجهت الصين من جهة أخرى في ظل غياب الدور الأمريكي إلى تفعيل القوة الناعمة عبر ما عرف بدبلوماسية الأقنعة، حيث أرسلت مساعدات انسانية ومعدات وفرق طبية إلى الدول المتضررة من الجائحة بغض النظر عن طبيعة أنظمتها، وقد استطاعت الصين من خلال هذه الدبلوماسية أن تكسب ثقة العديد من الدول على غرار إيطاليا وصربيا اللتان خذلهما الاتحاد الأوروبي (Clement, 2020, pp. 01 - 05)، كما قدمت 20 مليون دولار لمنظمة الصحة العالمية وأرسلت خبراء طبيين إلى إيران والعراق والفلبين وغيرها من الدول، وأقامت جسرا جويا مع فرنسا لتزويد هذه الاخيرة بالأقنعة الطبية(Julien Da Sois, 2020) .

حاولت روسيا أيضا استغلال الظروف الصحية التي يعيشها العالم في خدمة أهداف سياستها الخارجية، وعلى رأسها هدف العودة إلى الساحة الدولية واستعادة أمجاد الاتحاد السوفييتي، وقد حذت حذو الصين في هذا المجال، حيث عملت على تحسين صورة روسيا عالميا وهذا بتقديم المساعدات للدول المتضررة من "جائحة كوفيد ـ 19" ولعل أن ما ميز المساعدات الروسية هو أنه رغم أنها لم تصل لحجم المساعدات التي قدمتها الصين إلا أنها هادفة، فرغم حاجة روسيا للمعدات الطبية إلا أنها فضلت ارسال مساعدات إلى إيطاليا الأكثر تضررا من تفشي الوباء، وهذا لتغيير صورة التهديد الروسي الراسخة بين الأوروبيين من جهة، واستمالة ايطاليا لصالحها وتعميق المشاعر المعادية للاتحاد الأوروبي فيها من جهة أخرى.

من الواضح أن المساعدات الانسانية الروسية تتداخل مع أوليات سياستها الخارجية، ففي غرب البلقان سعت إلى مواجهة نفوذ الاتحاد الأوروبي وحلف شمال الأطلسي وحتى الصين عن طريق المسارعة إلى تقديم المساعدات لدول المنطقة، أما جمهوريات الاتحاد السوفييتي سابقا فقد سعت إلى استمالتها عبر توقيع مرسوم يحظر استبعاد رعايا هذه الجمهوريات من روسيا، وينص على التمديد التلقائي لتأشيراتهم وتصريحات الاقامة الخاصة بهم من 15 مارس إلى 15 جوان نظرا إلى ظروف جائحة الفيروس التاجي؛ طالت أيضا استراتيجية التأكيد على الدور الروسي في النظام الدولي في ظل الأزمة الصحية التي يعيشها العالم تقديم مساعدات إنسانية للولايات المتحدة الأمريكية لمواجهة تفشي الفيروس، إذ لم تخلو هذه المساعدات من الأهداف السياسية فقد كانت موسكو في حاجة إلى الوصول إلى اتفاق مع الولايات المتحدة الأمريكية بشأن أزمة النفط(Facon, 2020, pp. 01 - 15) .

وبالتالي فمن الجلي أن روسيا والصين رغم الأزمة الصحية التي دخل فيها العالم إلا أنهما بقيتا محافظتين على أولويات سياستهما الخارجية، بل وحاولتا تكييف الجائحة بما يخدم هذه الأولويات، كما أدركتا تراجع الدور القيادي للولايات المتحدة الامريكية وحاولتا ملء هذا الفراغ ووضع حد للهيمنة الأحادية على هيكل النظام الدولي ودواليب السياسة العالمية.

بناء على الحيثيات السابقة رأى العديد من السياسيين والخبراء في العلاقات الدولية أن "جائحة كوفيد ـ 19" ستضع حدا للنظام الدولي السائد، وهو ما ذهب إليه "هنري كيسينجر Henry Kissinger" مستشار الأمن القومي ووزير الخارجية السابق في الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أكد أن النظام الدولي بعد جائحة كوفيد ـ 19، لن يكون كما كان من قبل، فالولايات المتحدة الامريكية تخلت عن دورها القيادي في العالم؛ لذلك فالدول التي تستطيع الصمود في ظل الأزمة الحالية هي التي ستتصدر هرم توزيع القوة في النظام الدولي بعد انقشاع جائحة كوفيد ـ 19 (العبيدي، 2020).

أما "ستيفن والت Stephen Walt " أستاذ العلاقات الدولية في جامعة هارفارد الأمريكية فيرى أن الفشل الأمريكي والأوروبي في مجابهة جائحة كوفيد ـ 19، مقابل النجاح الصيني سيكون له تأثير مباشر على هيكل النظام الدولي، ويتنبأ بتحول قيادة العالم من الغرب إلى الشرق، وهي الفكرة التي أشار إليها أيضا "كيشور

محبوباني" الباحث في معهد آسيا للبحوث بجامعة سنغافورة، والذي رأى أن الجائحة ستؤدي إلى ظهور عولمة محورها الصين وليس الغرب (مركز الجزيرة للدراسات، 2020).

يمكن ان نستشف من خلال دراسة أدوار القوى الدولية في النظام الدولي من جهة، وآراء الخبراء والدارسين من جهة اخرى؛ أن هيكل النظام الدولي في ظل جائحة كوفيد ـ 19 يمر بمرحلة حاسمة، وأنه يتجه نحو التغير إلى بنية جديدة ستتحدد معالمها أكثر بعد نهاية الجائحة.

خاتمة:

نصل في ختام هذه الورقة إلى الإجابة عن الاشكالية المطروحة حول معالم بنية النظام الدولي في ظل جائحة كوفيد ـ 19، حيث نستنتج أنها تتسم بتراجع دور الولايات المتحدة الأمريكية كمهيمن على دواليب السياسة العالمية منذ نهاية الحرب الباردة؛ إذ لم تؤدي دورها القيادي المنوط بها كقوة عظمى في إدارة هذه الازمة العالمية، إلا أن هذا التراجع لا يعني نهاية الدور الأمريكي، بقدر ما يعني صعود أطراف جديدة تشاركها هذا الدور على غرار روسيا والصين اللتان استغلتا ظروف الجائحة لتعزيز دوريهما في الساحة الدولية ، كما نصل من خلال هذه الورقة إلى مجموعة من النتائج هي:

ـ تعد جائحة كوفيد ـ19 على غرار الأوبئة التي عرفها تاريخ البشرية حلقة أساسية وحدثا مفصليا في تاريخ العلاقات الدولية، لا تقل أهمية عن الحربين العالميتين الأولى والثانية.

ـ أدت جائحة كوفيد ـ19 إلى التأثير في معايير قوة الدول، وبالتالي في مفهوم القوة الذي بات أوسع من مفهومي القوة الصلبة والذكية، فالقدرة على تحقيق التكامل بين مختلف القطاعات مهما كانت استراتيجية أو بسيطة وإعطائها أهمية كبرى، كي لا تؤدي الأزمات التي تتعرض لها هذه القطاعات إلى إضعاف قوة الدولة ككل من جهة، وتعامل الدول مع الأزمات المفاجئة بسرعة وفاعلية والخروج منها بأقل خسائر أضحت عناصر أساسية في الحكم على قوة الدول.

ـ البنية الهيكلية للنظام الدولي في ظل جائحة كوفيد ـ 19 تتجه نحو التغير، في ظل تراجع الولايات المتحدة الأمريكية عن دورها القيادي في إدارة الأزمات الدولية، فرغم كون أطروحات تراجع الدور الأمريكي سابقة لظهور جائحة فيروس كوفيد19، إلا أن هذه الازمة الصحية التي يعيشها العالم حاليا أعطى هذه الأطروحات زخما أقوى.

ـ على عكس دور الولايات المتحدة الأمريكية الذي يشهد انكفاء في ظل تفشي جائحة كوفيد ـ 19؛ تمضي كل من روسيا والصين في تنفيذ مأموريات سياستهما الخارجية، الهادفة إلى تغيير بنية النظام الدولي الأحادي القطب، بما يتيح لهما مكانة في تسيير دواليب السياسة العالمية، وتعملان على تطويع ظروف الجائحة بما يخدم هذه الأهداف.

ـ كشف تعاطي الدول الكبرى مع جائحة كوفيد ـ 19، أن هيكل النظام الدولي ما بعد الجائحة ستتصدره الدول التي تستطيع الصمود أمام الأزمة واستغلالها.

قائمة المراجع:

الكتب:

جوزيف. س. ناي. (2016). *هل انتهى القرن الأمريكي.* (محمد الابراهيم العبد الله، المترجمون) السعودية: دار العبيكان.

حيدر علي حسين. (2013). *سياسة الولايات المتحدة الأمريكية ومستقبل النظام الدولي، .* بغداد: دار الكتب العلمية للطباعة والنشر والتوزيع.

عبد الرحمن اين محمد إبن خلدون. (2004). ، *مقدمة ابن خلدون.* سوريا: دار يعرب.

سوزان سكوت وكريستوفر دنكان. (2017). ، *عودة الموت الأسود*. (فايقة جرجس حنا، المترجمون) المملكة المتحدة،: مؤسسة هنداوي سي آي سي.

محمد حسنين هيكل. (2004). ، *الإمبراطورية الأمريكية والإغارة على العراق* (الإصدار 3). مصر: الشركة المصرية للنشر العربي والدولي.

نسيم طالب. (2009). *البجعة السوداء: تداعيات الأحداث غير المتوقعة*. (حليم نسيب نصر، المترجمون) لبنان: الدار العربية للعلوم ناشرون،.

هنري كيسينجر. (2015). *النظام العالمي: تأملات حول طلائع الأمم ومسار التاريخ*. (فاضل جتكر، المترجمون) لبنان: دار الكتاب العربي.

الدوريات:

زكرياء وهبي. (جويلية، 2020). متلازمة الأوبئة والاقتصاد في ظل جائحة كورونا –كوفيد 19. *مجلة مدارات سياسية ، 03* (03)، صفحة 44 ـ 58.

سمير جسام راضي، نوار جليل هاشم. (ديسمبر، 2016). ، الهيكلية القطبية والاستقرار في النظام الدولي. *مجلة العلوم السياسية* (52)، الصفحات 47 – 64.

علي الجرباوي. (مارس، 2018). الرؤى الاستراتيجية للثلاثي القطبية الدولية: تحليل مضمون مقارن. *سياسات عربية* (31)، الصفحات 11– 13.

محمد الشرقاوي. (23 مارس، 2020). التحولات الجيوسياسية لفيروس كورونا وتآكل النيولبرالية. تقارير مركز الجزيرة للدراسات، الصفحات 1 ـ 16.

وحدة الدراسات السياسية. (10 ماي، 2020). فيروس كورونا المستجد، والانتخابات الرئاسية، والسياسة الخارجية الأمريكية. *المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات* ، صفحة 1 ـ 6.

المواقع الإلكترونية:

آدم توز. (23 06، 2019). *هل هذه هي نهاية القرن الأمريكي؟* تاريخ الاسترداد 10 04، 2020، من https://www.bayancenter.org

طه عبد الناصر رمضان. (20 ماي، 2020). *هكذا غير وباء مجى حرب وانهارت أعظم المدن القديمة*. تاريخ الاسترداد 26 08، 2020، من https://www.alarabiya.net

ليث العبيدي. (15 04، 2020). *مقالة هنري كيسينجر عن جائحة فيروس كورونا*. تاريخ الاسترداد 17 09، 2020، من https://www.alhadaf-network.com

ممركز الجزيرة للدراسات. (21 03، 2020). *هكذا يبدو العالم بعدج كورونا ..نهاية النفوذ الأمريكي وصعود الصين*. تاريخ الاسترداد 14 08، 2020، من https://www.aljazeera.net

هاجر أبو بكر. (11 أفريل، 2020). *حتى الجيوش لم تسلم.. فيروس كورونا يعطل الأنشطة العسكرية حول العالم*. تاريخ الاسترداد 10 09، 2020، من- https://www.shorouknews.com

المراجع باللغات الأجنبية:

الكتب:

Kennedy, P. (1987). *the rise and fall of the great powers : economic change and military conflict from 1500 to 2000.* New York: Random house

الدوريات:

Bidouzou, t. .. (2020, mai – juin). la crise du covid-19 ou la gestation d'un nouvel ordre mondial ? *les fragilités du monde dossier du CIAAF*(02), pp. 01 – 11.

Branaa, J. –E. (2019). nouvelle politique étrangère Américaine, nouvel ordre mondial ? *Revue internationale et stratégique*(115), p. 139

Clement, O. (2020). le soft power chinoisen période de pandémie de Covid-19. *groupe de réflexion post covid-1*(02), pp. 01 – 05.

Facon, I. (2020, mai 12). Russie face à la Covid-19 : enjeux nationaux et internationaux. *fondation pour la recherche strategique*(38), pp. 01 - 15.

Sardon, J. P. (2020, avril). de la langue histoire des épidémies au Covid-19. *les analyses population & avenir*, pp. 1 – 30.

Zakaria, F. (2019, July - August). the self destruction of american power. *Foreign Affairs, 98*(4), pp. 10-15.

المواقع الإلكترونية:

Arnaud Balvayn, O. S. (2019, octobre 27). *1989- 2019 : les Etats Unis ou le bruit de l'hyperpuisance*. Consulté le 19 , 02, 2020, sur Diploweb: http://www.diploweb.com

Julien Da Sois, (2020, avril 01). *coronavirus : comment la Chine et la Russie essaient de retourner la crise a leur avantage*. Consulté le 20,09, 2020, sur http://www.cnews.fr

Vandal, G. (2020, mars 15). *un échec en leadership*. Consulté le 22, 10, 2020, sur la tribune: : https://www.latribune.ca

Worldometer, (06 december 2020), *Reported cases and deaths by country, territory, or conveyance* . consulté le 06, 12, 2020 sur Worldometer : http://www.worldometers.info